تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إعـداد

جمال أحمد عثمان

الملخص:

جاء هذا البحث تحت عنوان " تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " وهو يهدف إلى معرفة أسباب دوافع ظهور الاعجاز العلمي و تطوره .

المنهج المستخدم في البحث المنهج "الاستقرائي التاريخي" تتبعت الدراسة مصطلح الإعجاز العلمي من الناحية التاريخية متى ظهر؟ وكيف تطور؟

وخلصت الدراسة: إلى أن مصطلح الإعجاز العلمي مصطلح حادث لم يكن معروفاً حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري.

وظهر نتيجة لما شهده العالم الغربي من تقدم علمي في حين تراجعت الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة، ونتيجة الاستعمار الاوربي للدول العربية والإسلامية.

كلمات مفتاحية :

الإعجاز العلمي – موضوعه – نشأته

Summary:

This research came under the title "Rooting the Scientiflc miracles in Quran and sunnah", and it aims to know the reasons behind the emergence and development of scientific miracles.

The method used in the research The "historical inductive" method The study traced the term "scientific miracle" from a historical point of view, when did it appear? How did it develop?

The study concluded: that the term “scientific miracle” was an accident that was not known until the beginning of the fourteenth century AH.

It emerged as a result of the progress witnessed by the Western world, while the Islamic nation retreated from the path of civilization, and as a result of European colonization of Arab and Islamic countries.

Keywords: scientific miracles – its subject – its origin

موضوع الإعجاز العلمي

المقصود بالعلم الذي ينسب إليه مصطلح الإعجاز العلمي لدى فريق من الباحثين أن:"الإعجاز العلمي للقرآن والسنة" هو العلوم الكونية التجريبية الباحثة في ظواهر الكون والحياة، ويرى البعض أنه يتسع ليشمل الإعجاز كل سبق علمي في مختلف العلوم[1].

وعلى الرأي الأول: فإن تعريف "الإعجاز العلمي" للقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة نص على انه ينحصر في العلوم التجريبية المعملية فهو "إخبارهما بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما بَلَّغ عن رب العزة سبحانه وتعالى" ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم التجريبي المعنِيّ بدراسة الظواهر المطردة في الآفاق وفي الأنفس وصولاً إلى القوانين التي تفسر سلوكها وتعلل حدوثها بحيث تتكشف حقائق الأشياء انكشافًا تامًا، وتتجلى حقيقة الحقائق متمثلة في الإيمان الخالص على هدى وبصيرة بالخالق الواحد، مصداقًا لقوه تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

نشأة مصطلح الإعجاز العلمي وتطوره:

مصطلح الإعجاز العلمي حديث النشأة ظهر في القرن الرابع عشر الهجري مع ظهور مصطلح التفسير العلمي[3] إلا أن العلماء السابقين كالإمام الغزالي[4] والقاضي عياض[5] وابن رشد[6] قد أشاروا إليه بعبارات تتضمن معناه وإن لم تكن صريحة في التلفظ به تحت عنوان "الإخبار عن الغيوب

المستقبلية" واحتواء القرآن علي جميع العلوم[7] وغير ذلك كما سيأتي في الفصل الثاني من البحث.

ولما كان مصطلح الإعجاز العلمي في القرآن ظهر في القرن الرابع عشر الهجري فقد ورد ذكره في المؤلفات التي تعني بالتفسير العلمي للقرآن، وعلوم القرآن ظهرت مباحث فيها تحت مسمى الإعجاز العلمي أو التفسير العلمي، ولهذ كان أثر بالغ على الناس في الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فظهرت كتبًا تحمل اسم الإعجاز العلمي ومضمونه وفحوها تفسيرًا علمي للقرآن الكريم.

وظل الأمر هكذا حتى أنشأت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة سنة 1406هـ، فعرفت الإعجاز العلمي تعريفًا ميزه عن تعريف التفسير العلمي[8]، وقامت بإصدار مجلة تعتني بأبحاث الإعجاز العلمي تسمى مجلة الإعجاز العلمي، كما أصدرت كتبًا وقدمت محاضرات وندوات في أقراص مدمجة عن الإعجاز العلمي ونظمة عدة مؤتمرات علمية عالمية من أجل بحث قضايا الإعجاز العلمي.

ثم أخذ الإعجاز العلمي في التطور، وحظي بالاهتمام من الشريحة الثقافية في المجتمع، فلا يكاد ينقضي عام دون كتب جديدة أو مؤتمرات أو ندوات في مجال الإعجاز العلمي؛ حتى طغى على التفسير العلمي وحل محله، إذ غلب على التفسير العلمي نفسه الحديث عن الإعجاز العلمي في كتب التفسير المعاصرة وعلوم القرآن[9] كما ظهرت مؤلفات موسومة بالموسوعات في الإعجاز العلمي[10] ومواقع إلكترونية على الإنترنت وعدد من المؤسسات والهيئات واللجان للإعجاز العلمي أصدرت كتبًا ومجلات ونشرت أبحاثًا وعقدت مؤتمرات ومسابقات وندوات في دول مختلفة سنتحدث عنها بالتفصيل في الفصل الخامس من هذا البحث.

ثم أخذ الإعجاز العلمي أهميته عند بعض المختصين من حيث دراسته وتصحيح مساره، وبيان ما وقع فيه من أخطاء[11].

أسباب ظهور مصطلح الإعجاز العلمي:

فيرجعهما الدكتور نعيم الحمصي[12] إلى ردة الفعل الذي أحدثه الاتصال بأوربا وامتذاج الثقافة العربية الإسلامية التي كانت نائمة بالثقافة الأوربية الناضجة، وما بهر العلماء من علوم ومخترعات حديثة فحاولوا أن يعودوا لتراثهم الإسلامي يستنبطون منه أصول هذه العلوم، وخشوا أن تتزعزع العقيدة في النفوس الضعيفة من متبعي القرآن الكريم أمام ما يرونه من معالم المدنية الحديثة فاجتهدوا في بيان أن القرآن يحوي هذه العلوم وأشار إليه قبل أن يعرفها أهلها أنفسهم بقرون عديدة.

ثم يضيف سببًا أخر ويعتبره أصح عنده وأوجه وهو :" أن هؤلاء العلماء قد انكشف لهم من معاني القرآن ما لم يكن معلومًا لأسلافهم وذلك بعد أن اطلعوا على علوم ونظريات حديثة لم تكن معروفة من قبل"[13].

وما أميل إليه أن كلا السببين كانا باعثًا على ظهور مصطلح الإعجاز العلمي، إلا أن السبب الثاني كان له الدور الأبرز في ظهور هذا المصطلح وتطوره، لأن الشريعة الإسلامية ونصوص الوحي الإلهي تساير الزمان والمكان، وتجدد من نفسها مع كل تجددًا في الحياة ولذا نجد أن لهذه العلوم والمعارف أثرًا في الفقه الإسلامي فظهرت القضايا الفقهية المعاصرة وأصبحت تحتل مكانًا بارزًا في الفقه الإسلامي نتيجة لهذا التجدد والتطور في الحياة.

تعريف الإعجاز العلمي:

لما كان مصطلح الإعجاز العلمي مصطلحًا حادثًا ومعاصرًا، ولم يكن معروفًا طيلة ثلاثة عشر قرنًا مضت؛ أحدث تحرير تعريفه جدلاً بين الأوساط العلمية، إلا إنها تكاد تتفق كلمة أغلب الباحثين على اختيار التعريف الاصطلاحي للهيئة العالمية العامة للإعجاز العلمي، لذ أثرت الاقتصار عليه، نظرًا لتداوله وشيوعه ومناسبته لأحد المعاني اللغوية للإعجاز. وتضمنه لضوابط أساسية في الإعجاز العلمي.

وهو:" إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم"[(14)].

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

من هذه التعريفات يمكن القول بأن أبرز الفروق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي كما يلي:

أولاً: التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي؛ لأن التفسير العلمي يُراد به: توظيف العلوم الحديثة في محاولة فهم ألفاظ وعبارات القرآن الكريم، ومضامينه وإشاراته، من خلال اجتهاد المفسر في الكشف عن الصلة بين النص القرآني، وما توصل إليه العلم الحديث، ومحاولته الكشف عن معنى النص في ضوء النظريات العلمية الحديثة، سواء أكانت هذه النظريات مما يمكن إدراكه بالوسائل البشرية المتاحة في زمن الوحي، أم لا.

أما الإعجاز العلمي فيقتصر على إخبار القرآن الكريم بالحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث، والتي لم يكن من الممكن إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الوحي.

ولهذا أجاز بعض الباحثين الاستعانة بالنظريات والفروض العلمية التي لم تصل إلى منزلة الحقائق بعد في التفسير العلمي بوصفه اجتهادًا، ومحاولة بشرية لُحسن فهم النص القرآني، فإن أصاب فيها المجتهد فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا ينسحب هذا الخطأ على القرآن الكريم وجلاله وعظمته.

في حين أنه في مجال الإعجاز العلمي لا يصح سوى الاستناد إلى الحقائق العلمية الثابتة والقوانين المؤكدة، ولا يجوز الاستناد إلى مجرد الفروض والنظريات؛ لإن الإعجاز قائم على سبق القرآن في التوصل إلى هذه الحقائق والقوانين الثابتة؛ وأما مجرد النظريات والفروض التي لم تثبت صحتها بعد، فلا تستلزم إعجازًا، ولا تفيد سبقًا[15].

ثانيًا: أن حقيقة الإعجاز العلمي لا خلاف في قبولها، إنما الخلاف في عده وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن، أما التفسير العلمي فمختلف فيه حقيقته فمن العلماء من يجيزه ومن العلماء من يرفضه مطلقًا ولو اجتمعت فيه ضوابط قبوله[16].

الأدلة النقلية على الإعجاز العلمي

يوجد بالقرآن الكريم آيات كثيرة هي من قبيل الأدلة النقلية الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم باعتباره جزء من الإعجاز الموضوعي، ومظهرًا من مظاهر شمولية القرآن الكريم لكافة أنواع المعارف والعلوم الشرعية والكونية، وفيما يلي بعض هذه الآيات:

1- قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[17].

وجه الدلالة:

والمعنى: التفريط في الأمر: التقصير فيه وتضييعه حتى يفوت. والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقيل المراد به القرآن ذهب بعض المفسريين أن المراد بالكتاب القرآن، فيكون معنى الآية "ما تركنا شيء من أمر الدين يحتاج إليه المكلف إلا فصلناه إجملاً أو تفصيلاً أ.هـ"[18]. وهداية المكلف لمعرفة الله وصفاته من خلال النظر في الأفاق والأنفس، وما يجعله يطمئن إلى صدق النبوة والرسالة، أمر يحتاج إليه المكلف لا شك، وجاء في القرآن ذكره مفصلاً أو مجملاً، فتكون دليلاً على وجود الإعجاز العلمي في القرآن.

2- وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً... ﴾[19].

يعني القرآن تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ اسم من البيان قال مجاهد: يعني لما أمر به وما نهى عنه. وقال أهل المعاني: تبيانا لكل شيء يعني من أمور الدين إمابالنص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلّى الله عليه وسلّم لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم بيّن ما في القرآن من الأحكام والحدود والحلال والحرام، وجميع المأمورات والمنهيات، وإجماع الأمة فهو أيضا أصل ومفتاح لعلوم الدين وَهُدىً يعني من الضلالة وَرَحْمَةً يعني لمن آمن به وصدقه وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل[20].

ويقول ابن عادل في اللباب: "وجه تعلُّق هذا الكلام بما قبله: أنه – تعالى – قال: {وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً على هؤلاءآء} أي: أنه أزاح علتهم فميا كلِّفوا، فلا حجَّة لهم ولا معذرة"[21].

"الكتاب: القرآن الكريم. تبياناً: أي بياناً تاماً لكل ما يحتاجه الإنسان، وكلمة (شيء) تُسمّى جنس الأجناس. أي: كل ما يُسمّى «شيء» فبيانُه في كتاب الله تعالى"[22].

وجه الدلالة: الكتاب هو القرآن الكريم وذهب المفسرون إلى أن المراد بالتبيان بيان الأمور الشرعية والأحكام، ويرى البعض أن المعنى يتسع ليشمل كل شيء يحتاجه المكلف، وإظهار وجه الإعجاز في كل عصر ومصر أمر يحتاجه المكلف، والإعجاز العلمي من هذه الأمور.

3- وقوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ...﴾[23]، وتعني الآية أنزل فيه علمه وإلى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين[24].

بهذا يكون القرآن مشتملاً على العلوم الكونية التي هي من علم الله سبحانه وتعالى.

4- وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[25]، ومعنى ذلك أن بالقرآن أنباء تعرف حقائقها وكيفيتها بعد حين، أي في المستقبل، سوء بعد الموت من أمور الآخرة أو في المستقبل من أمور الدنيا[26].

وقد وضحت أمور العقيدة والتشريع في عهد الرسول ﷺ، وبقيت آيات العلوم التجريبية، وبذلك تكون الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ إشارة للآيات العلمية في القرآن، وما يحدث لها من تجلي، وكذلك مطابقته للكشوف العلمية لهذه الآيات.

5- قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ.. ﴾[27].

قال الشوكاني: "سنريهم صدق دلالات القرآن وعلامة كونه من عند الله في الآفاق وفي الأنفس".

وقال ابن كثير: "سنظهر لهم دلالتنا وحجتنا على أن القرآن حقًا منزلاً من عند الله بدلائل خارجة في الأفاق والأنفس" ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان في القرآن إشارات علمية تطبقها الكشوفات العلمية التي ستهظر في المستقبل على مر العصور وحينئذ يدرك الناس من هذه المطابقة أن القرآن منزل من عند الله.

6- وقوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.. ﴾[28].

لكل نبأ زمانًا خاصًا يتحقق فيه، فإذا تجلى الحدث ماثلاً للعيان أشرقت المعاني ا لتي حملتها الحروف والألفاظ في القرآن، وتتجدد المعجزة عبر الزمان.

قال ابن كثير: قال ابن عباس، وغير واحد، إن لكل خبر وقوع ولو بعد حين[29].

وإن خبر القرآن لما في الأرض والسماء هو نبأ إلهي عما في الأرض والسماء وسوف يشاهده الناس في الواقع فيكون ذلك بمثابة استقرار تلك الأخبار الوردة بالقرآن.

7- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ.. ﴾.

وفي تفسير هذه الآية يقول المفسرون: لقد بينا ونوعنا للناس من كل مثل للاعتبار به، أليس الإشارات العلمية بالقرآن الكريم من قبيل البراهين والحجاج

التي تؤدي للاعتبار بقدرة الله خاصة إذا كان فهمها على ضوء مطابقتها للحقائق الكونية والمكتشفات العلمية.

الحواشي:

(1) مدخل لدراسة الاإعجاز العلمي ص9- كارم غنيم – مكتبة الجامع الأزهر – بدون، الموسوعة القرآنية المتخصصة ص 690 وما بعدها – إشراف د/ محمد مختار جمعة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط: 2016م.

(2) سورة فصلت/ 53.

(3) أنظر: فكرة إعجاز القرآن الكريم منذ البعثة حتى عصرن الحاضر (ص:455،433،216) /، المدخل الوجيز إلى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز ص209، والاعجاز العلمي في القرآن والسنة حجة وبرهان ص84

(4) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي حجة الإسلام/ من مؤلفاته إحياء علوم الدين (ت:505هـ) أنظر: سير أعلام النبلاء (333/19).

(5) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي من مؤلفاته الشفا بتعريف حقوق المصطفى(ت:544هـ). أنظر سير أعلام النبلاء(20/ 222)

(6) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، القاضي الفقيه الطبيب ولي قضاء قرطبة من مؤلفاته بداية المجتهد (ت:5 59هـ) أنظر سير أعلام النبلاء (307/21).

(7)أنظر : فكرة إعجاز القرآن من البعثة إلى عصرنا الحاضر(ص:433)/

(8) أنظر: الاعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص:21)/ يحي بن صالح بن إبراهيم الطوبان / مجلة العلوم الشرعية التي تصدرها كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود/العدد الثاني والأربعون/ محرم 1438

(9) من أبرزها كتاب المنتخب في التفسير الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، والتفسير الوسيط/ لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية.

(10) مثل موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ راتب النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة / يوسف الحاج أحمد.

(11) أنظر: الاعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص:22)/ يحي بن صالح بن إبراهيم الطوبان / مجلة العلوم الشرعية التي تصدرها كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود/العدد الثاني والأربعون/ محرم 1438.

(12) نعيم الحمصي / حصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة القاهرة ، ثم عمل معلمًا للغة العربية بدمشق ثم أختير نقيب المعلمين في دمشق ، من أهم مؤلفاته "فكرة إعجاز القرآن الكريم من البعثة إلى عصرنا الحاضر" توفى عام 1981م.

(13) فكرة إعجاز القرآن من البعثة إلى عصرنا الحاضر (ص:218)/ نعيم الحمصي.

(14) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص14/ عبد المجيد الزنداني وأخرون/ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي.2012م.

(15) ينظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – زغلول النجار – دار الشروق 2000م، ص 35.

(16) الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ص7/ يحي بن صالح بن إبراهيم الطوبان / مجلة العلوم الشرعية التي تصدرها كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود/العدد الثاني والأربعون/ محرم 1438 هـ، ص 7.

(17) سورة الأنعام الآية: (38).

(18)أنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (28/2) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت:538هـ)– دار الكتاب العربي بيروت ط: الثالثة 1407هـ اللباب في علوم الكتاب (128/8) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي(ت:775هـ) – تحقيق: أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض – دار الكتب العلمية – بيروت –ط: الأولى 1419هـ– 1998م ، الوسيط (70/6) محمد سيد طنطاوي – دار نهضة مصر – القاهرة – ط: الأولى 1997م

(19) سورة النحل الآية: (89).

(20) لباب التأويل في معاني التنزيل (95/3) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالخازن (ت: 741هـ) تصحيح محمد شاهين – دار الكتب العلمية بيروت– ط: الأولى 1415هـ

(21) اللباب لابن عادل (140/12) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي(ت:775هـ) – تحقيق: أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض – دار الكتب العلمية – بيروت –ط: الأولى 1419هـ– 1998م

(22) خواطر إيمانية (8148/13) محمد متولي الشعراوي/ أخبار اليوم – مصر/1991م

(23) سورة هود الآية: (14).

(24) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل 66/2 أبي البركات النسفي – الهيئة العامة للمطابع الأميرية 1996م، مختصر تفسير ابن كثير 214/2 محمد على الصابوني – دار القرآن الكريم بيروت 1981م، فتح القدير 678/3 – محمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق عبد الرحمن أبو عميرة – دار الوفاء – ط3– 2003م.

(25) سورة ص الآيات: (87– 88).

(26) مختصر تفسير ابن كثير 210/3 مرجع سابق، فتح القدير 588/4 مرجع سابق.

(27) سورة فصلت الآية: (53).

(28) سورة الأنعام الآية: (67).

(29) مختصر تفسير ابن كثير 5/2